الافتتاحيّة

يوم الرب

جولة بيبلية سريعة

مقدمة

يضيق بنا الوقت إن أردنا أن نستعرض كل ما يضج به الكتاب المقدس من تأكيدات ومعلومات تتعلق بـ«يوم الرب» وبمختلف أبعاده. لذلك سنعمد في ما يلي إلى إدراج معظم المواضيع، ولو بالإيجاز.

أ - في العهد القديم

«يوم الرب» هو يوم افتقاده، حيث يتدخل ليعاقب الأشرار، ولينجي ويعظم البقية الأمينة التي تعبده، ويبسط في الوقت ذاته حكمه. الدينونة والخلاص هما معاً مظهران سائدان بارزان بشكل جليّ. «يوم الرب» هو موضوع ذات مدلول كبير في الأسكاتولوجيا البيبلية، خاصة في أسفار العهد القديم النبويّة. إنه يوم حلول عقاب الله على إسرائيل وعلى يهوذا، كما على الأمم، ولكنه أيضاً يوم خلاص.

- عبارة «يوم الرب»

بالرغم من أننا لا نجد التعبير بحد ذاته سوى ست عشرة مرة فقط في العهد القديم، فإنّ هناك عباراتٍ زمنية واضحة المدلول أيضاً، مثلاً : «في ذاك اليوم» (صف ١ : ٩-١٠؛ عا ٨ : ٩)؛ «يوم ذبيحة الرب» (صف ١ : ٨)؛ «يوم غضب الرب» (حز٧ : ١٩؛ رج إش ٢ : ١٢)، الخ. يعتبر بعض علماء الكتاب المقدس موضوع «يوم الرب» الموضوع المركزي لمجمل رسالة الأنبياء؛ فسفرا يوئيل وصفنيا، مثلاً، هما مكرّسان كلّيًا للإعلان عن «يوم الرب» وعن الأحداث التي تواكبه.

١) يوم الرب عند عاموس

نُدرج النبي عاموس منفرداً عن باقي الأنبياء وقبلهم، إنطلاقاً من أن عا ٥ : ١٨-٢٠ قد يتضمّن أقدم ذكر لـ«يوم الرب»، الذي يعلن من خلاله عن العقاب الذي سينزل بإسرائيل. هذا يعني بأن الله، وعلى لسان النبي، يقلب توقعات الشعب في ما يتعلق بما سيحصل؛ فهذا الأخير، وهو شعب العهد، وبالتالي شعب الأمانة، يتوقع أن يتدخل الله لصالحه كي يهزم أعداءه، لكنه يتبيّن في الواقع أن إلهه، على العكس من ذلك، ينحو باتجاه إدانته. نقرأ في عا ٥ : ١٨-٢٠ ما يلي :

«ويل للتوّاقين إلى يوم الرب!

ماذا عسى يكون لكم ذاك اليوم؟

يكون ظلمةً لا نوراً!»

واضح من هذه الآيات أن انتظار «يوم الرب» كان شائعاً في القرن الثامن ق. م.، عندما كان عاموس يؤدّي رسالته النبوية، وأنّه كان، بشكل عام، انتظاراً لمناسبة سارة.

تلي هذه الآيةَ أُخرى يعلن الرب فيها عن أنه غير راض عن عبادات شعبه :

«لقد أبغضت أعيادكم ونبذتها،

ولم تطب لي احتفالاتكم» (عا ٥ : ٢١).

رأى عاموس أن إسرائيل ليس خاضعاً لحكم الله، ومع ذلك فإن إسرائيل يريد أن يلقى الدعم من إلهه.

٢) يوم الرب والأنبياء

بعد عاموس، نجد أيضاً العديد من نصوص الأنبياء التي تتكلم على «يوم الرب».

– «يوم الرب» يوم دينونة عامة

استناداً إلى إش ٢:١٢، «إنه يوم رب القوات على كل متكبر ومتعال، وعلى كل مرتفع فينحط».

صفنيا، الذي تنبأ في أواخر القرن السابع ق. م.، يستعمل موضوع «يوم الرب» بتوسع ليلفظ حكماً على يهوذا وعلى الأمم الأخرى في آنٍ معاً (صف ١).

– «يوم الرب» يوم خراب

يربط حز ٧:١٠ «يومَ الرب» بخراب أورشليم على يد البابليين، ولكن يمكن أن يشير «يوم الرب» إلى يوم خراب أمم أخرى : إش ١٣:٦ (بابل)؛ إش ٣٤:٨ (أدوم)؛ إر ٤٦:١٠ (مصر)؛ حز ٣٠:٣ (مصر)؛ عو ١٥ (أدوم)؛ إنه إذاً يوم دينونة لكل الأمم أيضاً.

في يوء ١–٢، يأخذ يوم الرب شكل ضربة جراد.

– الدينونة هي نتيجة

استناداً إلى الأنبياء، الدينونة الإلهية ليست اعتباطية، بل هي نتيجة حتمية للسلوك والأفعال السيّئة؛ فحوافزها كثيرة، منها : عبادة الأصنام (إش ٢:٨ و٢٠؛ صف ١:٤–٦)، والكبرياء والصفاقة (إش ٢:١١ و١٧)، وفقدان العدالة الاجتماعية (عا ٢:٦–٧؛ صف ٣:١–٣). إنها دينونة تطهيرية تزيل لطخة الشر من وسط أمّة الله المختارة : هي لا تتساهل، ولا مفرّ منها (عا ٥:١٨–١٩؛ صف ١:١٢)، وهي تطال بنوع خاص قادة الأمة (إش ٣:١–٣؛ صف ٣:٢–٣).

وبالرغم من أن العقاب سيكون بشكل هزيمة عسكرية (عا ٢:١٣–١٦؛ صف ١:٦)، فمن الواضح أن الرب هو القوة المحرّكَة التي خلف ذلك (لاحظ الأفعال بصيغة المتكلم في عا ٨:٩–١١؛ صف ١:٨ و٩؛ رج يوء ٢:١١).

– شمولية العقاب

ليس العقاب محصوراً بشعب العهد، بل يشمل بعض الأمم المجاورة (عا ١:٣–١٥؛ صف ٢:٤–١٥؛ رج أيضاً يوء ٣:١١–١٢ [مت ٤:١١–١٢] التي ستحصد نتائج أعمالها المنكرة (عا ١:١٣؛ صف ٢:٨ و١٠). يرسم العديد من الأنبياء ذلك على أنه ذات مقاييس واسعة (إش ١٣:٩؛ صف ٣:٨؛ زك ١٤:١–٣ و٩). استناداً إلى صفنيا، ليس هذا سوى نقيض الخلق، وسيكون خراباً أكثر اتساعاً من ذاك الذي أحدثه الطوفان.

– حدث مستقبلي مرتبط بالماضي

هذا التوقّع النبوي لحدثٍ كوني نهائي، هو موضوع في نطاق لا يتوافق مع واقع آخر، ألا وهو أن الكتّاب البيبليين يطبقون أحياناً عبارة «يوم الرب» على أحداث سالفة، كخراب أورشليم (مرا ٢:٢٢)، وهزيمة المصريين (إر ٤٦:١٠). في الفكر البيبلي، تمثّل أحداث الماضي هذه المستقبلَ وتميل إلى الاندماج فيه، مؤذنةً سلفاً بالزمن الذي فيه سيُدانُ البشر على كل شرّهم، ويُفضَح تكبرهم وصفاقتهم، و يقاوَم كلُّ سلطان يقف في وجه الله، معِدًّا الطريقَ لتأسيس مُلك الله الخاص (إش ٢:٦–٢٢).

دخول تابوت العهد إلى الهيكل، وتقديم الذبائح في هذا الأخير.
عند الاحتفال الديني بالعام الشمسي الجديد، كان تابوت العهد يُحمَل عبر أبواب الهيكل عند انبثاق الفجر. كان الموسيقيون العازفون يسيرون خلف التابوت، ينقرون الأوتار وينفخون في الأبواق، يتبعهم الملك، والقواد والأشراف. إلى اليسار، كانت هناك الآنية الطقسية الضخمة التي كانت تسمى "بحر البرونز"، وعلى اليمين، مذبح كبير (هل استوحى أش من هذا المشهد رؤياه "للسيد الجالس على العرش العالي والمرتفع"؟ (رج أش ٦:١)

– دينونة ولكن أيضاً خلاص!

لسوء الطالع، اعتُبِرَت مسألة الخلاص غالباً أقل أهمية أو حتى غير ملائمة، بالمقارنة مع مسألة الدينونة. مع هذا، فـ«اليوم» ليس زمن دينونة أو زمن خلاص فقط، بل أيضاً زمن خلاص عبر الدينونة، والتطهير، وبركة عبر التطهير، يبشر الأنبياء بأن فريقاً من أمة العهد سيخرج من الدينونة ويتلقى البركات الإلهية. هذا الفريق من الناجين، الذي يُدعى «البقية» (مي ٤:٦-٧؛ صف ٣:١١-١٣)، سيكون مكوَّناً من شعب يفتش عن يهوه بإمعان (عا ٥:١٤-١٥). سيجمعهم الرب، ويعيدهم إلى أرضهم، وسيُسَرُّون بحضور الرب في وسطهم (عا ٩:١٤-١٥؛ صف ٣:١٥ و٢٠).

– الخلاص للجميع

كما في الدينونة، سيختبرُ إسرائيل البركةَ العتيدة، لكن ليس وحده، بل الأمم أيضاً. إن الغرباء الذين بدّلهم الربُّ سيعبّرون عن عبادتهم وولائهم (إش ١٩:١٨؛ صف ٣:٩)، فيقوم الاثنان بحجّ إلى أورشليم لتأدية العبادة (إش ٢:٢-٤؛ مي ٤:١-٤؛ زك ١٤:١٦-١٧)، وإكرام الرب في ذات الوقت في بلدانهم (إش ١٩:١٩؛ صف ٢:١١). في الواقع، كل ما يبقى يُكرَّس للرب بذات الفعل (زك ١٤:٢٠).

– «في ذاك اليوم»

في مرحلة ما بعد المنفى، نجد نصوصاً أسكاتولوجيةً تبدأ بعبارة «في ذاك اليوم». تَرِدُ هذه العبارة أكثر من اثنتي عشرة مرة في زك ١٢-١٤.

نقرأ في زك ١٤:١-٢: «ها إن يوماً للرب يأتي، وتُقَسَّم غنيمتُكِ في وسطِكِ، وأجمعُ كلَّ الأمم على أورشليمَ للقتال...». «اليوم» هنا هو يوم معركة وتدمير في المستقبل غير المحدَّد.

في ملا ٣:١-٢، التركيز هو على «يوم» له علاقة بالعبادة، لكن المفاعيل هي شبيهة: «هاءنذا مرسلٌ رسولي فيعدّ الطريق أمامي، ويأتي فجأةً إلى هيكله السيدُ الذي تلتمسونه...، فمن الذي يحتمل يوم مجيئه، ومن الذي يقف عند ظهوره؟ فإنه مثل نار السَّبَّاك...»

٣) في الأدب اليهودي

في المؤلفات اليهودية المتأخرة، التعبير «يوم الرب» غير شائع كثيراً، لكننا غالباً ما نجد إشارات إلى «يوم» (أو «زمن») مصيريّ، له ذات المدلولات.

في دا ١٢، سيقوم رئيس الملائكة ميخائيل «عند ذاك الوقت»، ثم تليه القيامة.

«دَرْجُ الحرب القمراني» يخبر عن كيف أنه، «في يوم كِتِّيم، ستكون هناك معركة ومذبحة رهيبة أمام إله إسرائيل».

هناك تعابير ظرفية مشابهة في الأدب القانوني الثاني؛ مثلاً: «يوم القدير»، في ٢ با ٦:٥٥.

باختصار

كان لتفسير عاموس لـ«يوم الرب»، إذاً، مفعول متواصل في التقليد البيبلي. فلقد أصبحت العبارة معادلة للدينونة والتدمير، وشيئاً فشيئاً، أضحت تشير إلى تدخل إلهي نهائي وحاسم في شؤون البشر.

ب – في العهد الجديد

١) «يوم الرب» في سفر الرؤيا

يشير سفر الرؤيا إلى معركة يدخل فيها ملوك كل الأرض، «في اليوم العظيم للرب الكلي القدرة».

٢) «يوم الرب» يوم مجيء المسيح الثاني

يعادل «يوم الرب»، في العهد الجديد، زمن مجيء يسوع المسيح الثاني (٢ بط ٣:١٠-١٣؛ تس ٥:٢؛ رج ٤:١٣-١٨)، ويدعى أيضاً «يوم ربنا يسوع المسيح» (١ كو ١:٨؛ رج ٥:٥؛ ٢ كو ١:٤)، و«يوم يسوع المسيح» (فل ١:٦)، وتعابير أخرى مشابهة.

٣) يوم الرب في رسالة بطرس الثانية

لكن المقطع التقليدي المتعلق بـ«يوم الرب»، هو ٢ بط ٣:١-١٣. يحذّر رأس الرسل من أن «قوماً مستهزئين كل الاستهزاء، تقودهم أهواؤهم، فيقولون : أين الوعد بمجيئه؟ لكن يوماً واحداً عند الرب هو كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد». والتأخر الظاهر في المجيء هو فقط لإفساح المجال «للتوبة» (آ ٩)، لكن «يوم الرب سيأتي كاللص، وعندها تزول السماوات في ذاك اليوم بدويٍّ قاصف، وتنحلّ العناصر مضطرمةً، وتحاكم الأرض وما فيها من أعمال» (آ ١٠). «يوم الرب» هنا هو نهاية العالم، ولكن ستتبعه «سماوات جديدة وأرض جديدة، يقيم فيها البر» (آ ١٣).

٤) يوم الرب وبولس

يعلّم بولسَ التسالونيكيين بألاّ يقلقوا بشأن الأوقات والأزمنة، فيقول : «لأنكم أنتم أنفسكم تعرفون جيداً أن يوم الرب سيأتي كاللص ليلا» (١ تس ٥:٢). وفي ٢ تس ٢:٢، يسأل المؤمنين ما يلي : «لا تكونوا سريعي التزعزع في رشدكم ، وسريعي الفزع من نبوءةٍ أو قول أو رسالة يُزعَم أنه منّا، تقول إن يوم الرب قد حان» (أنظر التحذير من علامات يوم ابن الإنسان الكاذبة، في لو ١٧:٢٤). بالإضافة إلى ذلك، فإنّ بولس يتكلم مرات عدة على موضوع يوم الرب هذا، أو يوم ربنا يسوع المسيح (١ كو ١:٨؛ ٥:٥؛ ٢ كو ١:١٤)، أو يوم المسيح (فل ١:٦ و١٠؛ ٢:١٦)، كيوم الدينونة الأخير.

٥) يوم الرب قريب!

بالنسبة إلى توقيت «اليوم»، وبالرغم من أن بعض الأحداث ينبغي أن ترشح أولاً (٢ تس ٢:١-٣؛ رج ملا ٤:٥ [٣:٢٣]، فإنّ الرسول بولس يشكل صدى لأنبياء العهد القديم بإعلانه بأن «يوم الرب» قريب (روم ١٣:١١-١٢؛ رج إش ١٣:٦؛ يوء ١:١٥؛ صف ١:٧-١٤).

٦) زمن تأدية الحساب

لكون يوم «الرب» يوصف بأنه زمن تأدية حساب شاملة، عندما تُعلَن الدينونة الأخيرة، والجزاء الأخير يُسلَّم، فإنه يتضمن ذات السلسلة الأساسية من الأحداث، كما في نظرية العهد القديم. هذا اليوم هو زمن الانتقام الأخير للبقية الأمينة لله، والهزيمة الكاملة للأشرار.

خاتمة

في نهاية هذه الجولة البيبلية السريعة، من العهد القديم وحتى العهد الجديد، نود أن نؤكد بأن توقّع «يوم الرب» العظيم الرهيب قد ألقى بظلاله على التاريخ المسيحي، وأثّر بوضوح على الفكر اللاهوتي، كما أيضاً على الليتورجيا والفن، الخ.

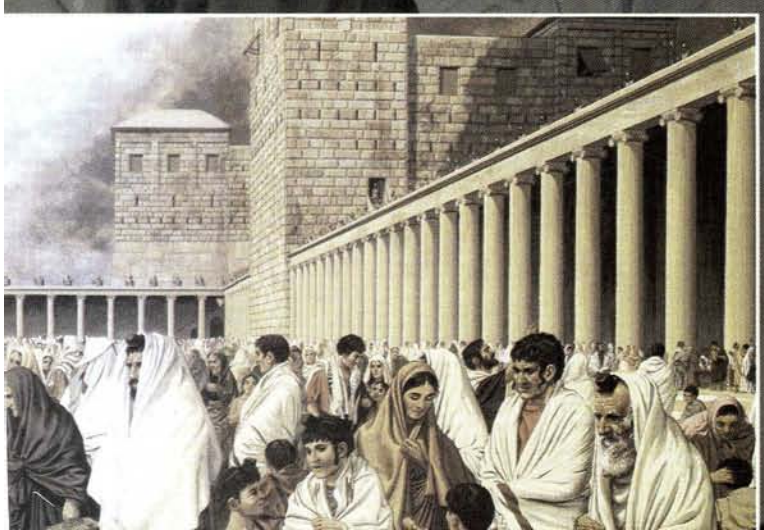

عجقة العيد سببها التئام الجماعة في هيكل أورشليم لتفرح وتبتهج بالرب

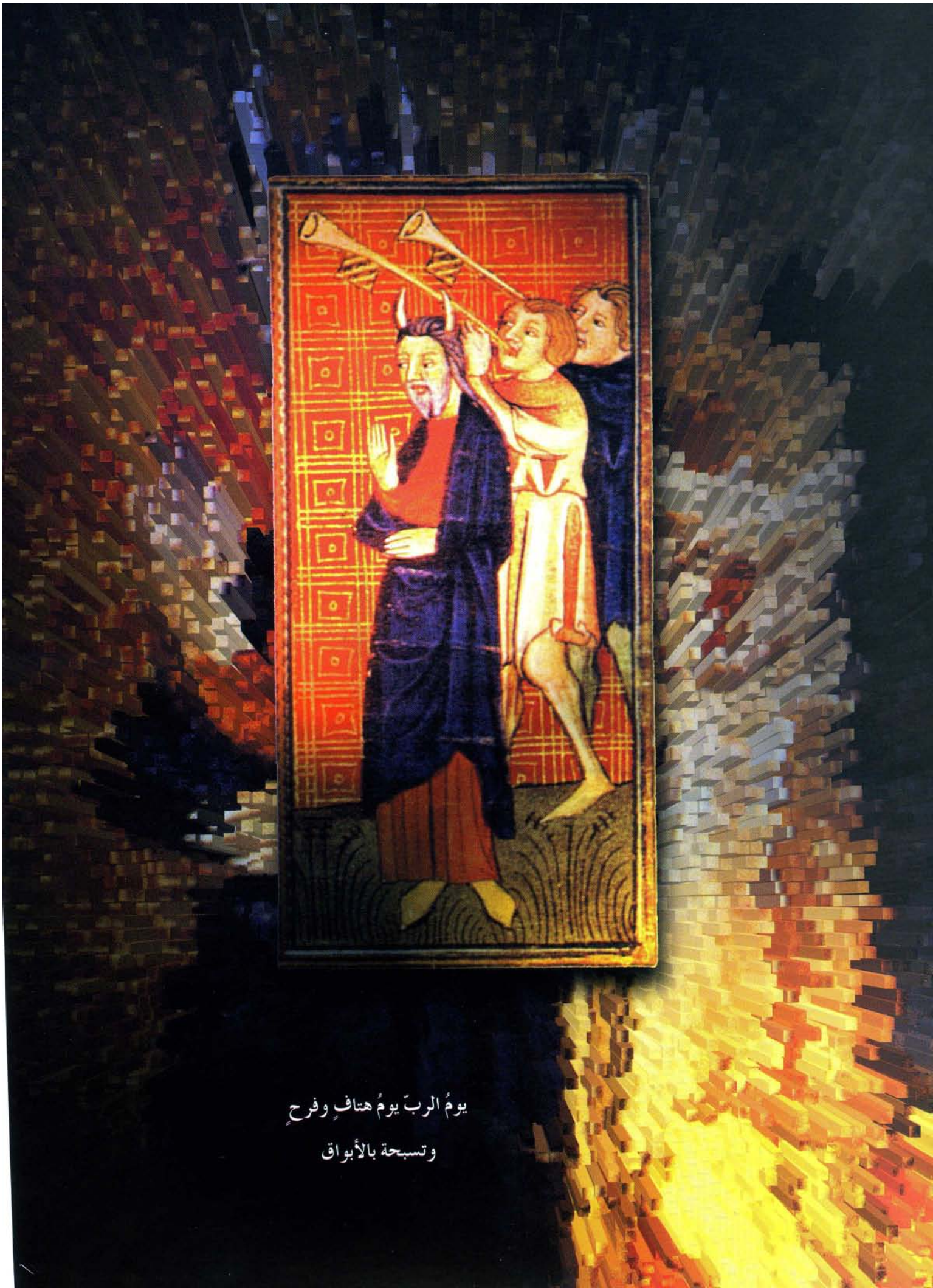

يومُ الربّ يومُ هتافٍ وفرحٍ

وتسبحة بالأبواق